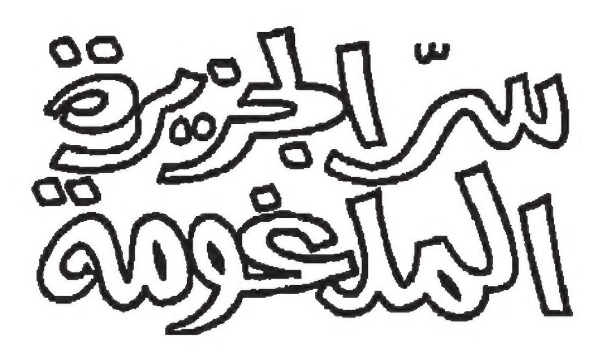
ألغاز الشروق



تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

صفحة فارغة


سرّ الجزيرة
الملغومة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣

فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN

بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

فاكس ٨٦٧٥٥٥ ـ تلكس SHOROK 20175 LE

بدا كل شيء حافلاً بالتوتر فى ذلك اليوم . .

فقد سادت المدينة حالة من الوجوم الشديد . والصمت المثير للتساؤل . وأيضا القلق الذى لايمكن لأحد أن يعرف نتائجه ، ولا ماذا يمكن أن يسفر عنه . .

فاليوم جنازة القاضى النبيل« بورسلينو» . . واحد من أشجع وأنبل القضاة الذين عرفتهم الجزيرة . .

ولأنه قاض شجاع . . ونبيل . . فإن مدينة باليرمو قد شهدت فى ذلك اليوم أكبر تظاهرة صامتة حزنا على ذلك الرجل الذى تصدى وحده لعصابات المافيا . . أشهر العصابات الإجرامية فى الجزيرة . بل فى إيطاليا . . و فى أنحاء العالم . .

لقد دفع القاضى النبيل حياته ثمنا لموقفه الشجاع . .

فلأنه استطاع أن يتصدى لعصابات المافيا . ولأنه أصدر حكمه العادل على مجموعة من أعضاء هذه العصابات . . كان عليه أن يموت غدرا . .

فبالأمس . . وبينما هو فى زيارة أمه . . جاءت الأحداث مثيرة لايصدقها أحد . .

فبعد أن خرج من منزل أمه . . وتقدم نحو سيارته . . انطلق فى الشارع انفجار رهيب دفع فيه « بورسلينو » وخمسة من حرسه وزوجته حيواتهم . .

واهتزت البلاد كلها . . ليس فقط لأن قاضيا قد مات فى هذا الحادث المليء بالغدر . . بل أيضا لأنه الشخص الوحيد الذى أكمل رسالة زميله وصديقه القاضى « فالكومى » . الذى اغتالته عصابات المافيا قبل شهرين لا أكثر .

لذا ، فالحزن يسيطر الآن على المدينة بأكملها . .

حتى رئيس الجمهورية نفسه ، قد جاء من أجل حضور جنازة القاضى النبيل . .

ووسط هذا الجو الصامت ، توقع الكثيرون من أبناء جزيرة صقلية . فى جنوب إيطاليا ، أن يحدث شيء مثير . .

* * *

فى نفس الساعات كان « حب حب » يطير بطائرته الصغيرة فى الأجواء العليا وقد بدا كأنه قد دخل سباقا مع صقره الذهبى «رف رف » .

بدا السباق مثيرا وغريبا للغاية . . فرغم أن الصقر يعرف أنه ليس من السهل أن يسبق تلك الطائرة . إلا أنه حاول بكل ما

صفحة فارغة

بجناحيه من قوة أن يلحق بها تارة . وأن يسبقها تارة أخرى . .

كان « حب حب » يدرك تماماأن الصقر قوى . . وأنه ماهر . وأنه اسرع وأقوى من طائرته الصغيرة . .

بدت تلك الرحلة العادية ، واحدة من الرحلات التى يقوم بها «حب حب » بين وقت وآخر لاختبار كفاءة طائرته التى دأب دائما يضيف إليها المزيد من الاختراعات . ويسعى إلى تطوير إمكاناتها يوما وراء يوم حتى تجابه كافة الاحتمالات والأخطار التى تقابله فى رحلاته التى يقوم بها من وقت لآخر ، ويلتقى وجها لوجه بزملائه أعضاء نادى المراسلة الدولى .

فجأة أراد « حب حب » أن يمازح صقره . . فداس على زر السرعة الذى دفع بالطائرة لتنطلق بسرعة أذهلت الصقر نفسه . . والذى فرد جناحيه فى السماء . . وبدا ثابتا لايتحرك . . ثم راح يرفرف بجناحيه بقوة كأنه يصفق لصاحبه على هذه الحركة البارعة . .

رأى الصقر صاحبه . . يلف بالطائرة مرتين . . وكأنه يستعد للقيام ببعض الحركات البهلوانية . . لكن يبدو أن مهارة « حب حب» فى القيام بهذه الأعمال لم تبلغ بعد حدها المثير . .

وسط هذا الصمت الرهيب ، والحزن الذى يكسو الوجوه . . وأيضا الشعارات التى يرفعها أبناء مدينة باليرمو ، عاصمة

صقلية، تعبر عن حبهم الشديد للقاضى الراحل . . تقدم رجل عجوز من رئيس الجمهورية بخطى ثقيلة وسط ترقب من العين . . حاول أن يتماسك . . وأن يغلب أحزانه . . بينما راح الرئيس ينتظره إلى أن وقف قبالته . فسمع العجوز يقول :

ـ سيدى الرئيس . هذه الأرض تلد رجالا مثل « بورسلينو » . و« فالكومى » . تلد دائما رجالا آخرين . .

بدا صوته محشرجا . . أحس الرئيس بأن كلمات العجوز مليئة بالمعانى . فلاشك أن اغتيال « بورسلينو » ، ومن قبله « فالكومى » يعنى أن أيا من القضاة لن يمكنهم الوقوف بنفس النبل والحزم أمام عصابات المافيا ، حتى لايتعرضوا لنفس الحوادث الإرهابية من طرف عصابات المافيا . .

ورغم أن العيون الحزينة لم يعرف أصحابها ماذا قال العجوز بالضبط . . لكن ملامح الارتياح التى بدت على الرئيس جعلت الكثيرين يشعرون أن هناك شيئا ما . .

فلاشك أن حضور الرئيس للجنازة ، لايعنى فقط وقوف الدولة إلى جانب رجالها . بل إنه يعنى أيضا أن الدولة التى تتعرض لمواقف حرجة من طرف عصابة المافيا ، قد قررت أن تتصدى لهم بحزم شديد . .

وبدأت مراسيم الجنازة وسط جو حزين . . وملىء بالترقب .

وكان هناك سؤال يلح على الكثير من أبناء المدينة : ترى من سيكون رجل الدولة القادم الذى عليه أن يحكم فى القضية التى اغتيل « بورسلينو » بسببها . ؟ وترى هل سيقبل ؟ .

* * *

لم يسترع انتباه « حب حب » فى نشرة المساء سوى خبر عما ماجرى فى مدينة «باليرمو» وملامح الحزن التى ارتسمت على أبناء المدينة . . حيث بدت دموع النساء تبرق فى العيون . وحيث بدا الأطفال كأنهم يحملون الإحساس بالمسئولية لما حدث . . إلى جانب الكبار . .

ولأن هذا الخبر أثار « حب حب » كثيرا . ولأن المذيع قد تساءل فى النشرة عمن يكون ذلك القاضى الشجاع الذى سيعينه رئيس إيطاليا ليتولى الفصل فى القضية صباح الاثنين القادم . فإن « حب حب » قد أثاره الفضول كى يتعرف أكثر على من تكون عصابات المافيا . .

لم يكن أمامه سوى «الكومبيوتر الخارق ». داس على زره . وسرعان ماجاءت المعلومات فياضة حول ماذا تكون المافيا . .

عرف « حب حب » أن « المافيا» كلمة تعنى ، على المستوى العالمى، « عصابات إجرامية امتدت أنشطتها إلى حيث الدول الغنية . والمليئة برؤوس الأموال ، مثل الولايات المتحدة ، وكندا .

وإيطاليا . وأمريكا الجنوبية، وأن رجال المافيا قد انتشروا فى هذه البلاد مع نهاية القرن التاسع عشر حيث نشطت حركات الهجرة إلى الأرض الجديدة . . إلى الأمريكتين » . .

وجاء على شاشة « الكومبيوتر الخارق» أن المافيا ليست فقط عصابات إجرامية عادية ، تتاجر فى المخدرات والخمور ، وتحاول السيطرة على الأسواق العالمية . بل إن لها قانونًا « خفياً » لايعرفه أحد . . ولذا فإن البعض يقول إن أصل كلمة « مافيا » جاء من الكلمة العربية « مخفى » أى من الخفاء .

أحس « حب حب » بالفضول يدفعه إلى أن يعرف المزيد . خاصة عن أصل الكلمة « مافيا » .

وجاءت الإجابة مثيرة للدهشة . . فكما أن كل مايتعلق بعصابات المافيا العالمية شىء غامض ومثير فان أصل الكلمة نفسه له ألف تفسير . . منها أن المافيا عبارة عن الحروف الأولى من اسم كبير ، باللغة الإيطالية يعنى أن « شعار إيطاليا هو الموت للفرنسيين » حيث ظهر هذا الاسم لأول مرة فى عام ١٨٦٠ حين كانت العلاقات متوترة بين فرنسا و إيطاليا . .

ووسط هذا الكم الهائل من المعلومات، قطع التلفاز إرساله العادى . . كى يعلن المذيع خبرا مثيرا حين قال :

ـ قام الرئيس الإيطالى بتعيين السيد «مارشيللوبرتو» ليتولى قضية

المافيا . خلفا للسيد « بورسلينو » الذى تمت مراسم دفنه اليوم .

هتف « حب حب » . . وكأنه يعرف الاسم جيدا :

ـ ماذا . . «مارشيللو برتو» . . مستحيل !!

* * *

فجأة اشتعلت الأحداث فى مدينة باليرمو . .

فلاشك أن تعيين السيد «مارشيللو» ليكون خلفا لزميله «بورسلينو » يعنى أن أيامه قد أصبحت معدودة ، خاصة لو سار على النهج نفسه الذى سار عليه زميلاه السابقان اللذان تخرجا معا من المدرسين الابتدا ئية والثانوية ، بل الكلية نفسها .

أثيرت التساؤلات عما يمكن للسيد «مارشيللو» أن يفعله إزاء هذا الأمر، فلاشك أن هذا القرار بتعيينه يعنى أن عليه أن يستكمل مسيرة زميليه بالتصدى ، لرجال المافيا، حتى ولو كان هناك خطر يحدق به ومهما كان ثمن الخطر . .

لكن ، هل يمكن أن يبلغ الخطر حد أن يموت ويدفع بذلك حياته ثمنا لموقفه ؟. لقد مات « فالكونى » برصاصة مجهولة . وهاهى قنبلة قد زرعت فى سيارة « بورسلينو » . . فترى ماذا سيكون مصيره . . وكيف ؟

بينماكثرت التساؤلات حول رد فعل القاضى«مارشيللو» . .

وحول ماذا يمكن أن يحدث له ، بدا « حب حب » مندهشا . فالسيد «مارشيللو» هو والد صديقه «ماركو». أحد الأعضاء البارزين فى نادى المراسلة الدولى . .

ولاشك أن هذا سوف يجعل الأحداث ساخنة فعلا . . وسيجعل « حب حب » يحاول أن يعرف المزيد عما يحدث هناك فى صقلية . .

وأسرع « حب حب» إلى الكومبيوتر الخارق ليعرف المزيد عن هذا الموضوع . .

فترى إلى ماذا توصل ؟. وماهى جذور هذه الصراعات حقيقة؟

* * *

جاءت المعلومات تشير إلى أن هناك أكثر من عصابة إجرامية فى إيطاليا تقوم الآن بنشاطات إجرامية مشابهة . منها «المافيا» التى ظهرت لأول مرة فى جزيرة صقلية فى القرن الثالث عشر . وظلت تمارس نشاطها السرى الإجرامى مئات السنين .

كما أن هناك عصابة أخرى ظهرت فى القرن العشرين تعرف باسم «كامورا» وأن هذا الاسم مشتق من كلمة عربية تعنى «القمار». لذا فإن نشاط هذه العصابة الإجرامى يتمثل فى السيطرة

على كازينوهات القمار فى ساحل شمال غربى إيطاليا وعلى شاطئ الريفيرا الفرنسى . .

أما عصابة «كوزما فوسترا » أو « هذا شأننا » فقد ارتكبت فى عام ١٩٩١ أكثر من ألف وخمسمائة جريمة من أجل السيطرة على سوق المخدرات الدولية .

أحس « حب حب » بمدى خطورة الأمر . .

فلاشك أن القاضى الذى يتصدى لمثل هذه العصابات يجب أن يكون من النوع المغامر الفدائى الذى عليه أن يضع حياته فى كفة مقابل مبادئه . . مثلما فعل كل من « فالكومى » «وبورسلينو» اللذين كانا يعرفان أن هذه العصابات تسيطر على أكثر من ثلاثة ملايين من الإيطاليين . .

لم يكن « حب حب » فى حاجة أن يعرف أن جزيرة صقليةقد حكمها العرب سنوات طويلة فى عصر الازدهار العربى . وأن الكثير من عادات أهل صقلية قد ورثوها عن العرب . . وأن أبناء الجزيرة يعيشون حياة بسيطة . . لايفسدها سوى قانون المافيا الغامض . . والسرى . .

إذن ، فلاشك أن هناك خطرا يحدق الآن بالقاضى مارشيللو . وأيضا بابنه ماركو . . وبالسيدة زوجته . .

لذا قرر « حب حب » أن يتدخل . . وأن يعرف الكثير . وألا

ينتظر حتى تسفر الأحداث عن مواقف مثيرة . .

فلاشك ان الأمور تتحرك بسرعة رهيبة . .

فى تلك الأمسية ازدحم بيت القاضى مارشيللو برجال الصحافة والإعلام ، يسألون عن مشاعره إزاء اختياره للنظر فى تلك القضية .

* * *

وقف القاضى مارشيللو أمام الصحفيين يرد بدبلوماسية رقيقة . . قائلا :

ـ إنه لشرف كبير أن يولينى السيد الرئيس رعايته . . و . .

ثم سكت . .

سأل أحد الصحفيين :

ـ هل أنت خائف أن يلحق بك نفس المصير ؟

ظل القاضى محتفظا بهدوئه . ثم قال بنبرات واضحة :

ـ من الشرف لى أن أكون الثالث بعد «فالكومى» . . و«بورسلينو» .

وضجت القاعة بالضجيج الممزوج بالإعجاب . فلاشك أن القاضى قد وضع بذلك مصيره فوق كفه ، وأنه قد قبل قضاء الله المكتوب له . مهما كانت العقبات . . صفق بعض الحاضرين . . وسألته إحدى الصحفيات :

ـ معنى هذا أنك ستحكم ضد أعضاء العصابات المقبوض عليهم .

بالنبرات الواضحة نفسها . رد القاضى :

ـ لو أجبت عن هذا السؤال الآن فهذا يعنى أنه لامعنى لجلسة الاثنين . .

سأل صحفى ثالث :

ـ وماذا لو تعرضت أسرتك لمخاطر ؟

ران الصمت على المكان . . التفت القاضى حوله كأنه يبحث عن ابنه «ماركو» . . رآه يقف هناك وقد لمح التساؤل فى عينيه . ورأى وجهه البرىء . . لم يخطر بباله أى مصير يمكن أن يحدث له لو تعرض هو للخطر . . او تعرضت أسرته للخطر نفسه . . وبكل هدوء قال :

ـ أسرتى هى بلادى . . وهى أسرتكم أيضا . .

وانسحب القاضى فى هدوء . . كى ينتهى المؤتمر الصحفى . .

لكن كان هذا إيذانا ببداية غليان للأحداث ، بصورة لم تشهدها صقلية من قبل . .

* * *

لم تنم البيوت فى مدينة باليرمو فى تلك الليلة ، وخاصة بيت

القاضى «مارشيللو» .

راح الناس يتحدثون أن القاضى النزيه هو هدف رجال المافيا لأنه تجرأ واقترب من الملفات السرية لهذه العصابات . وعلى سبيل المثال فإن اغتيال « فالكومى » قد تم بعد أن استطاع الحصول على معلومات كثيرة عن الحسابات السرية للكثير من أعضاء المافيا وأيضا للكثير ممن يعتبرهم البعض من كبار القوم .

عند ذلك الحد ، قرر رجال المافيا أن يضعوا خاتمة لحياة «فالكومى» ، وعندما اقترب زميله « بورسلينو » من المنطقة نفسها الحساسة دفع حياته ايضا . .

فقد اكتشف « بورسلينو » أن زملاء له فى المهنة نفسها، قد تورطوا فى أعمال عديدة مع عصابات المافيا ، وأنهم حققوا الكثير من الثروات . .

وكان السؤال المثار فى بيوت صقلية ، فى تلك الليلة هو : إلى إى حد سوف يصل القاضى مارشيللو . وهل سيجتاز الحد المسموح له فى منظور رجال المافيا ؟ وماذا سيكون مصيره . ؟

وبينما عشرات الأسئلة تطرح نفسها حول هذا المصير . . دار فى بيت القاضى حوار مثير . أثر تماما فى مسار الأحداث . .

* * *

كان على « حب حب » أن يدوس على الزر الخاص بالاتصال الدولى فى الكومبيوتر الخارق . . من أجل محادثة صديقه

«ماركو» . .

فى تلك اللحظات دار هناك حوار مثير بين «مارشيللو» وزوجته . . فقد راحت الزوجة تبكى بحرقة بعد أن كاد أن يغمى عليها أثناء المؤتمر الصحفى .

لقد حل الخطر الشديد بمنزلها ابتداء من هذه اللحظة ولاشك أن منزلها قد تحول منذ الآن إلى قنبلة موقوتة يمكن للموت أن يدخله متى شاء . ويمكن للخطر أن يهزه مثلما حدث فى بيوت أغلب القضاة الذين تولوا موضوع المافيا .

بدا القاضى بالغ القلق إزاء مايحدث فى بيته . فهاهى زوجته وشريكة عمره تحاول أن تقنعه بأن يقدم استقالته من وظيفته حتى تعود السكينة والطمأنينة إلى البيت .

قال لها :

ـ إنه شرف . . و . . .

قاطعته الزوجة الباكية قائلة :

ـ لا . . بل هو الموت . .

رد قائلا : الموت موجود . . ومن لم يمت بالرصاص . . مات بغيره .

بدا «ماركو» ساكنا . لايعرف ماذا يقول . . فهو يحس أن عليه أن يؤازر أباه فى موقفه ، وأن يحثه على أن يمضى قدما فى هذه

القضية المثيرة . . كما أن عليه أن يقنع أمه بأن الواجب شيء مقدس مهما كانت عواقبه . .

فى تلك اللحظة سمع «ماركو» صوتا غريبا يرن فى جيبه . . هتف :

ـ إنه واحد من أصدقائى . .

وكان عليه أن يترك الغرفة . .

* * *

لم يتصل أحد به فى الفترة الأخيرة، سوى « حب حب »، داس « ماركو » على الكومبيوتر الخارق . . وسرعان ما ظهر على الشاشة الرقم الخاص بـ« حب حب » . .

جاء السؤال من الطرف الآخر :

ـ ترى ماذا يحدث لديكم . . وماهى آخر التطورات؟

عرف « ماركو » أن « حب حب » قد علم الكثير من أحداث اليوم ، وخاصة الخبر الخاص بتعيين والده قاضيا للنظر فى نفس القضية التى مات بسببها القاضى الراحل « بورسلينو » . ؟

داس « ماركو » على حروف « الكومبيوتر الخارق » وأرسل إلى صديقه « حب حب» رسالة تفيد أن الموقف فى منزله متوتر . . وأن أباه قد يضطر إلى تقديم استقالته من أجل أن يعود السلام إلى المنزل . .

وسرعان ماجاء الرد من « حب حب » الذى قال فى رسالته :

ـ أتمنى ألا يقدم أبوك استقالته . . وأن نتكاتف جميعا ضد هذه العصابات الإجرامية . .

وجاءت كلمات « ماركو » مقتضبة :

ـ وكذلك أنا . .

ثم انتهت المحادثة التى تمت عن طريق الشاشة الاليكترونية للكومبيوتر الخارق الذى لايملكه سوى أعضاء نادى المراسلة الدولى . .

وما إن انتهت المكالمة حتى كانت المواجهة الأولى بين المافيا والقاضى الجديد . .

* * *

فجأة . ووسط هذا الموقف الملىء بالتساؤلات . . انفجرت سيارة القاضى الرابضة أمام منزله . .

بدا الموقف أشبه بتحد حقيقى . .

فلم يكن الصحفيون قد غادروا المكان بعد ،حين دوى الانفجار يهز المكان والقلوب .

وراح المصورون يلتقطون صورة العربة المحترقة . . بينما راح البعض الآخر يبحث عن ضحايا . . إلا أن أحدا لم يعثر على أى

صفحة فارغة

ضحية . .

بدا الموقف كأنه اختبار نيات . . أو اختبار قوة . .

وبدأت التساؤلات . . ترى هل هذا يعنى أن حياة القاضى «مارشيللو» فى خطر فعلا ؟ وأن عليه من الآن أن يتخذ قراره . ؟ وأن يتخلى عن القضية . . أو أن يقدم استقتالته . . ؟

بدت زوجة القاضى أشد الناس تأثرا بهذا الحادث . . وأدركت أن الدمار سوف يحل ببيتها . . وصاحت :

ـ فتشوا البيت . . فهم هناك بالتأكيد . .

وبدا الحادث كأنه بمثابة تحد حقيقى لرجال العدالة . الذين راحوا يمشطون المكان بحثا عن أثر للجناة . . إلا أن واحدا من رجال الشرطة راح يهون الموقف . . فدخل منزل القاضى وقال :

ـ إنه خزان الوقود . . وقد أتى خبراء المفرقعات للمعاينة . .

بدا القاضى رابط الجأش . وقال :

ـ لقد بدأت المباراة . . إذن . . وبسرعة . .

سأله أحد الصحفيين الذين شهدوا الحادث :

ـ هل ستطلب المزيد من قوات الأمن لحمايتك ؟

رد : هذا شأن رجال الأمن .

ثم سأله صحفى آخر :

ـ هل ستتخلى عن موقفك . ؟

رد : لقد بدأت اللعبة . . وأنا أحب هذا النوع من اللعب .

* * *

يا إلهى . . لقد قرر القاضى أن يدخل فى مواجهة مع المافيا مهما كان الثمن ، ومهما كانت النتائج . . وفى صباح اليوم التالى السبت نشرت الصحف التفاصيل الدقيقة لكل ماحدث بالأمس . . والموقف النهائى للقاضى «مارشيللو» الذى يواجه تحديا حقيقيا طوال الساعات الثمانى والأربعين القادمة . حتى ينطق بالحكم ضد ثلاثة من رجال المافيا الكبار . .

كان القاضى « بورسلينو » قد أصدر حكمه ضد أكثر من ثلاثين من المافيا تورطوا فى أعمال إجرامية عديدة، والآن على القاضى «مارشيللو» أن يستكمل المسيرة .

أدرك القاضى أن القضاء على المافيا لن يأتى بالأقوال . وشن الحملات ، وتنظيم المواكب احتجاجا على أعمالها الإرهابية . وإنما لاشك أن القلق سوف يشتد بزعمائها إذا ماكان فى ساحة القضاء رجال من طراز «فالكومى» و« بورسلينو » .

لذا قرر أن يستكمل المسيرة على الأقل حتى يظل فى عينى ابنه نموذجا للقاضى النزيه الشريف الذى لايأبه لتهديدات حتى لو أدى ذلك إلى أن يدفع حياته ثمنا لموقفه . .

وبدأت المواجهة . .

آحس ماركو أن عليه الوقوف بجانب أبيه ، مهما كانت العواقب . . فقال يهمس لأمه :

ـ اطمئنى يا أمى . . كم أنا فخور به . . لقد اتصل بى أصدقائى من أعضاء نادى المراسلة الدولى يطلبون منى مؤازرة أبى والوقوف معه . .

نظرت إليه أمه . . والدموع تكاد تتساقط من عينيها . ثم قالت . مغلوبةعلى أمرها :

ـ نحن نفعل كل ذلك من أجلك ، حياتنا لاتهم . . المهم أن تتربى بيننا . .

ابتسم «ماركو» وقال : يكفينى أن أكون ابن القاضى «مارشيللوبرتو » . .

ولأول مرة منذ ساعات أحست الأم بالاطمئنان . .

* * *

عندما وقف « حب حب » أمام طائرته وقد ارتدى ملابس الرحيل ، أدرك الصقر أن الرحلة هذه المرة ستكون مثيرة فعلا . . فقد بدا « حب حب » وهو يتأهب للقيام بهذه الرحلة كأنه يستعد للدخول فى مواجهة ساخنة مع شخص لايعرفه . .

صفحة فارغة

حلق الصقر فى الفضاء . . وشاهد صديقه « حب حب » يدخل الطائرة ثم يشير له بإصبعه البنصر إشارة سرعان مافهمها . فالرحلة هذه المرة ستكون فوق البحر . . وسوف تعبر الطائرة منطقة البحر المتوسط . .

وأغلق « حب حب » باب الطائرة عليه . . وبدأ يستعد للطيران . . كان قد أبلغ صديقه « ماركو »أنه لابد أن يحضر ممثلا لبقية أعضاء نادى المراسلة الدولى من أجل مؤازرة القاضى «مارشيللو» الذى يواجه مصيرا غامضا ، وأن ينقل له تحية كل أعضاء النادى لموقفه الشجاع . . وجها لوجه . .

عرف « ماركو » أن « حب حب » سوف يصل إلى صقلية بعد ساعات قليلة . . لذا راح يبرمج الكومبيوتر الخارق ببعض المعلومات عن صقلية . هى جزيرة تقع أسفل إيطاليا عاصمتها مدينة باليرمو والتى فى شمال الجزيرة . وأغلب مدن الجزيرة تقع على شاطئ البحر المتوسط مثل «سيراكوزة« و» «مارسالا ». . وهى تعتمد على الزراعة . . لكن أغلب أبنائها يميلون إلى الأعمال التجارية . .

وبعد قليل ، كانت الطائرة تحلق فى الفضاء . وتنطلق إلى هدفها المنشود .

وعندما وصلت إلى منطقة البحر كان من السهل على أى

شخص ينظر إلى السماء أن يميز لون الصقر الذهبى وهو يرفرف أعلى السحاب إلى جوار تلك الطائرة الصغيرة المتطورة .

لم يكن « حب حب » يعرف أن الأمور ليست سهلة كما كان يتصور . وأنه فى اللحظة التى اقتربت فيها طائرته من جزيرة صقلية ، كانت الأمور قد تعقدت فجأة خاصة بعد أن أصدرت السلطات الإيطالية أمرا بإغلاق المجال الجوى فوق جزيرة صقلية أمام كل الطائرات . .

كان من الواضح أن الأمور قد أصبحت خطيرة لدرجة كبيرة . .

* * *

فجأة ، انطلقت مجموعة من الانفجارات المتزامنة فى بعض شوارع مدينة بالريمو . .

وتناثر زجاج السيارات وارتفعت حدة الصراخات فى الشوارع . . وامتلأت القلوب بالخوف . . وراح الناس يتوقعون أن تحدث الانفجارات فى كل مكان . وأحس البعض كأن قنبلة سوف تنفجر أسفل قدميه . .

وأصبحت باليرمو فجأة مدينة السيارات الملغومة . . بل إن البعض ردد قائلا :

ـ نحن فى مدينة ملغومة . . سوف تنفجر بكاملها فى

أى لحظة .

وازدادت المدينة توترا عندما خرج الصحفى المشهور «ساباتو» من جريدته ليفاجأ بوابل من الرصاص يتساقط حوله . . فارتمى فوق الأرض . . . وزحف بمهارة أسفل إحدى السيارات .

تصور الرجال الذين أطلقوا الرصاص أنهم قد نالوا بغيتهم وأن الصحفى قد غرق فى دمائه . . ودفع حياته ثمنا لمواقفه الشجاعة فى الكتابة عن أخطار المافيا . .

وبعد قليل جاء رجال الشرطة . . بعد أن أفلت المجرمون . . ونزل الصحفيون من مبنى جريدتهم كى يؤازروا زميلهم «ساباتو» . .

وعندما وصل محافظ المدينة إلى مكان الحادث ، كان قد أصدر قرارا بتحويل صقلية بكاملها إلى جزيرة مغلقة . . ممنوع الدخول إليها . . أو الخروج منها مهما كان السبب . وذلك حتى إشعار آخر . .

بدت صقلية ملتهبة فى صباح ذلك اليوم ، السبت فالمحاكمة المنتظرة سوف تعقد بعد ثمان وأربعين ساعة . ولاشك أن المواجهة بين السلطات وبين رجال عصابات المافيا . قد بدأت تشتد . وهاهى العصابات تختبر قوتها . . وتسعى إلى إثارة الخوف فى كل مكان . . فلا أحد يعرف بالضبط من يكون رجل المافيا الحقيقى

. . إنه فى الغالب إنسان عادى . . من هؤلاء الناس الذين يملئون الشوارع . . وقد يكون حاملا داخل ملابسه قنبلة زمنية عازما أن يستخدمها فى الوقت المناسب .

ولذا فإن المدينة ظهرت خائفة ومرعوبة . . كان كل شخص يحس أن الرجل الذى يمشى إلى جواره يمكن أن يكون من عصابة المافيا . وأنه قد يطلق النيران عليه ، أو يرميه بقنبلة . .

ومن هنا جاءت حساسية هذا الموقف الخطير . . وزاد الموقف خطورة عندما ذاع فى المدينة أن الصغير « ماركو » قد اختفى فجأة.

* * *

عندما اقتربت طائرة « حب حب » من أجواء جزيرة صقلية كان كل شىء معدا للهجوم عليها ، والقبض على قائدها . . وأيضا على ذلك الصقر الذهبى . .

فسرعان ما التقطت الرادارات الحساسة ذلك الشىء الصغير الذى يقترب من الجزيرة . وصدرت الأوامر أن تقلع مجموعة من الطائرات من أجل القبض على تلك الطائرة التى لا بد أن واحدا من أعضاء المافيا يركبها . .

فلأن المافيا عصابة دولية ، لها أفرع قوية فى أنحاء عديدة من

العالم خاصة الولايات المتحدة وأوربا ، فقد جاء الأمر بإغلاق المجال الجوى لصقلية بضعة أيام ، خوفا من قيام رجال المافيا خارج البلاد ، بمحاولة السيطرة على الجزيرة ، واختبار قوى القوات الحكومية الإيطالية .

لم يكن « حب حب » يتوقع أن يحدث هذا قط . .

فى بداية الأمر ، رأى صقره يرفرف بجناحيه بطريقة سرعان مافهمها . فأدرك أن هناك خطرا قادما . .

وبسرعة ارتفعت الطائرة إلى أعلى . . ولكن لم تمر سوى ثوان عديدة، إلا وظهرت خمس طائرات حربية راحت تحلق فى الفضاء وتتجه نحو طائرته . .

هتف « حب حب » قائلا :

ـ ياللأسف . . لن يفهموا شيئا . .

لم يكن أمام « حب حب » وقت للتفكير فيما يمكن عليه أن يفعله . . فهل يولى الفرار . . أم يحاول أن يستسلم لتلك القوات الجوية الحكومية . ؟

لم تنتظر الطائرات أن يفعل « حب حب » شيئا . . فسرعان ما أطلقت اثنتان منها النيران بكثافة شديدة نحو طائرة « حب حب » التى تشبة البطة الطائرة .

امتزجت صرخات «حب حب » بأزيز الطائرات . .

صفحة فارغة

وبصيحات الصقر . ولم يكن أمام « حب حب » سوى أن يتصرف .

* * *

أثار حادث خطف « ماركو » استياء أبناء صقلية . . فقد أحس الجميع أن المافيا قد أعلنت بذلك تحديها السافر لكل ماهو قانونى وإنسانى .

بدأ الأمر حين استيقظ القاضى «مارشيللو» ، ليفاجأ بزوجته تهتف صارخة :

ـ «ماركو» ليس فى غرفته .

لم يكن القاضى قد نام سوى ساعة واحدة بعد ليلة امتلأت بالأحداث الساخنة . بدا الخبر كأنه متوقع . . ومع ذلك قال بأعصاب هادئة :

ـ لعله فى غرفته .

صاحت المرأة :

ـ لا . . لقد خطفوه . . وتركوا رسالة . .

رآها تمد له رسالة صغيرة سرعان ما التقطها وراح يقرؤها . .

كانت كلمات الرسالة مقتضبة للغاية :

« ماركو أمانة حتى يوم الاثنين » .

أحس الأب أن الدنيا تدور به ، وأنه يكاد يغمى عليه .

فلاشك أن ابنه ماركو يمثل سببا رئيسيا فى موقفه المتشدد والنبيل . . إنه يريد أن يُعلم ابنه كيف يكون السلوك القويم حتى لو كان ذلك ثمنه هو حياته نفسها . .

حياته . . لقد أصبحت حياة القاضى فى خطر . . كما أصبحت حياة ابنه فى خطر ايضا . .

نظر القاضى إلى امرأته والتى باتت فى حال يرثى له . . ومع ذلك حاولت أن تتماسك ، لقد أدركت فجأة أنها لو اهتزت أمام زوجها . فلاشك أن هذا سوف يغير الأمور أكثر . .

أحس القاضى أن الرجال قد أمكنهم أن يتسللوا إلى المنزل فى ساعة مبكرة من اليوم ، ثم قاموا باختطاف ابنه ،تساءل فى داخله :

ـ لكن كيف . . والمنزل ملىء بالحراسة . . ؟

إنه يعرف الإجابة جيدا . . فلاشك أن المافيا قد تخللت إلى الحراس أنفسهم . . وربما إن بعض رجال الحرس الذين يحرسون البيت هم من المافيافعلا . .

وأحس القاضى بالحيرة . وراح يتساءل عما يمكن أن يفعله .

* * *

كان « حب حب » يعرف كيف يتصرف بالضبط . . لقد اندفع

بكل جسمه منطلقا نحو السماء . . بينما هوت الطائرة نحو البحر. لقد أراد بهذا أن يلفت أنظار قائدى الطائرات عن صقره الثمين . وأيضا عن طائرته الغالية . ، فهو يعرف أن الصقر سوف يتصرف كما سبق أن فعل فى مغامرات عديدة . .

وبعد قليل ، بدأت طائرة « حب حب » فى الهبوط من أعلى السماء متجهة نحو البحر . . أما الطائرات الحربية الإيطالية فقد تساقطت منها فجأة مجموعة من رجال المظلات ، كانوا مستعدين لكل الاحتمالات . .

وبينما « حب حب » يهبط بمظلته نحو البحر . . لم يكن همه هو أن يهرب من جنود المظلات الذين يسعون إلى القبض عليه . . بل راح يرقب الصقر وهو ينقض على الطائرة الصغيرة ثم يلتقطها بمنقاره . . بعد أن تحولت فى لحظات إلى حقيبة صغيرة . .

أخذ « حب حب » يهبط بمظلته نحو المياه . . أما « رف رف » قد كان يعرف طريقه جيدا . . حيث ارتفع نحو السماء أكثر فأكثر . . ثم اختفى عن الأنظار ، مثلما اختفت الطائرات الحربية التى تعرف طريقها جيدا . .

فجأة ، تغير إيقاع المطاردة . .

فقد رأى « حب حب » مجموعة من الزوارق البحرية تنطلق فجأة فوق سطح الماء . وتلف وتدور فى دوائر واسعة ، كأنها تنتظر

صفحة فارغة

نزوله بين لحظة وأخرى، لذا راح يتمتم :

ـ يبدو أنها نهايتك يا أخ « حب حب » .

ولم تمر سوى دقائق إلا ولامست قدماه الماء . .

وقبل أن تنزل المظلة وتلمس الماء بدورها . . كان جنود البحرية قد التقطوا « حب حب » الذى سمع جنديا يقول لضابطه بالانجليزية :

ـ إنه ليس سوى صبى صغير . .

رد الضابط قائلا :

ـ المافيا لها ألف طريقة فى ممارسة الإجرام . .

وهنا دق قلب « حب حب » بشدة وهو يدرك أن الموقف قد تأزم فعلا . .

* * *

أحس الأب بحيرة شديدة . . فلاشك أن اختطاف ابنه يعنى أن على القضية أن تأخذ مسلكا مختلفا . . وأن عليه أن يحكم لصالح زعماء المافيا الثلاثة ، وإلا فإنه سيفقد ابنه للأبد . .

وقفت الأم تتساءل :

ـ هل ستبلغ الشرطة . ؟

رد بكل سخرية : أعتقد أن الشرطة تعرف . . قبل أن نعلم

نحن .

وفهمت الأم ماذا يقصد زوجها بالضبط . . فقالت :

ـ إذن ماذا ستفعل ؟

رد القاضى «مارشيللو» : سننتظر بعض الوقت . .

كان يعرف أن الدولة قد أصبحت ضعيفة أمام سلطة المافيا . وأن على الأمور أن تتغير . . وأن البلاد فى حاجة إلى رجال أقوياء . . حتى لو دفعوا حياتهم ثمنا لمواقفهم حتى تستعيد الدولة قوتها وهيبتها . . لكنه تساءل قائلا :

ـ من السهل على قاض مثلى أن يدفع حياته ثمنا لموقفه . . لكن ماذنب ابنى . . ؟

لم تكن هناك إجابة لهذا السؤال . . قالت المرأة :

ـ هل ستقدم استقالتك ؟

رد بكل ثبات :

ـ تعرفين ياعزيزتى . أنه ليس «مارشيللو» الذى يفعل ذلك .

* * *

لم يكن أحد يعرف وقائع ماحدث ساعة اختطاف « ماركو» . فقد آثر أن ينسحب إلى غرفته كى ينام . ويترك أباه يخلد بدوره إلى الراحة .

وبعد قليل ، وعند اللحظات الأولى من الفجر ، بدا كل شيء هادئا . . وساكنا . . كان القاضي قد تمدد فى سريره . . وبدا كأن التعب قد نال منه فسرعان ماغرق فى النوم . .

وبينما راح الحراس يقومون بواجبهم لحماية منزل القاضى «مارشيللو»، أخذ «ماركو» يتململ فى سريره. وقد اعتراه قلق واضح .

فلاشك أن ماينتظر سكان هذا البيت مثير للقلق . . فترى ماذا سيحدث لأبيه ، لو مضى فى الطريق نفسه الذى سلكه زميلاه من رجال القضاء ؟ .

وبينما هو آخذ فى التفكير، سمع همسا أسفل النافذة . .

تملكه الخوف . . ولكنه سرعان ماتماسك ، وسمع رجلا يقول لرجل آخر قريب منه :

- إنه هناك فى هذه الغرفة . .

أسرع « ماركو » نحو النافذة . . ووسط الظلام ، نظر إلى رجلين يتحاوران همسا . . استطاع أن يتبين منهما واحدا من الحرس الذين يتولون حراسة المنزل . . فهتف فى داخله :

- لاشك أن هذا الرجل حارس مزيف .

قال الحارس المزيف للرجل الآخر :

- يمكنك أن تأخذه رهينة . .

ارتجف « ماركو » وهو واقف إلى جوار النافذة يتنصنت على الرجلين اللذين يتفقان أن يأخذاه رهينة . . . وراح يفكر فيما يمكن أن يفعله، فترى هل يصرخ فيوقظ سكان المنزل ؟. لاشك أن هذا قد يحول البيت إلى ساحة من المخاطر . .

لكن ماذا عليه أن يفعل . ؟

لم يتردد . . فى أن يساعد الرجلين كى يأخذاه رهينة . . فقد لمعت فى رأسه فكرة غريبة جعلته يتصور أنه من خلالها يمكن أن يفعل شيئا إيجابيا . .

* * *

تصور « حب حب » أن هذا العدد من جنود البحرية الذين جاءوا للقبض عليه قد استعدوا لملاقاة جيش بأكمله من الخارجين على القانون . .

سرعان ما اندفع أحد الضباط نحو زورقه . . وفى تلك اللحظات اقتربت طائرة مروحية ضخمة ذات ثلاث مراوح عليا . . بدت أشبه بمارد يطير فى الجو . .

وما إن حطت الطائرة فوق المياه حتى نزل منها بعض الحرس . . ثم ظهر رجل يرتدى نظارة سوداء لا تكشف عن عينيه ، راح ينظر إلى رجاله من الضباط والجنود . . ثم سأل باقتضاب :

ـ اين هو ؟
أشار أحد الضباط إلى « حب حب » . وقال :
ـ هذا هو . . إنه . .
بدت علامات النفور على وجه الرجل وقال بصوت حاد :
ـ شيء غريب . . كل هذا من أجل صبى . .
همس أحد الضباط فى أذن الرجل ببعض العبارات . بينما وقف « حب حب » يرقب مايحدث أمامه . وكأنه ينتظر ماسوف تسفر عنه الأحداث . .
استدار الرجل . . ثم عاد مرة أخرى إلى طائرته المروحية بعد أن أشار بإصبعه إشارة لم يفهم « حب حب » معناها إلا فيما بعد . .
كانت الإشارة تعنى أن يقوم الضباط بإحضار « حب حب » إلى مكتب القائد العام من أجل استجوابه وإرغامه أن يدلى بمعلومات خطيرة عن عصابة المافيا . .

* * *

لم يتوقع « ماركو » أن يذهب فى نزهة عندما قرر أن يساعد رجال المافيا أن يأخذوه رهينة عند اللحظات الأولى من الفجر . .
فقبل أن يدخل ثلاثة رجال إلى غرفته ويجدوه ، كان قد قام بدس « الكومبيوتر الخارق » فى ملابسه ، ثم راح يبتهل إلى الله أن

يساعده أن ينفذ خطته التى رسمها بدقة . .

وعندما دخل الرجال الثلاثة إلى الغرفة المظلمة . . واقتربوا من السرير ، صاح واحد منهم :

ـ إنه ليس موجودا . .

رد الآخر : لابد أنه هرب . .

فجأة انطلق صوت « ماركو » فى ركن من أركان الغرفة :

ـ أنا هنا ياسادة . . تحت أمركم . .

أصابت الدهشة الرجال . . فماذا يفعل الصبى فى هذا الركن من الغرفة ؟ . اقتربوا منه وسط الظلام . . وازدادت دهشتهم حينما رأوه يمد لهم يديه كأنه يطلب منهم أن يقيدوه جيداً ، إلا أن أحدهم صاح :

ـ خذوه بسرعة . . من الواضح أن شيئا ما وراءه . .

وبسرعة دفعه واحد من الرجال نحو النافذة . أحس بشخص يتلقطه بعد أن تصور أنه يطير فى الهواء . . وشعر كأنه كرة يقوم شخص ما بتلقيفها لآخر . حتى لم يستطع أن يحدد عدد الرجال الذين التقطوه أو الذين القوا به لآخرين .

وفى ثوان عديدة ، كان الرجال الذين لايعرف أحد عددهم قد القوا به داخل الحقيبة الخلفية لسيارة صغيرة وقاموا بإغلاقها . . ووسط ظلام دامس ، أحس « ماركو» بالسيارة تنطلق به وهو راقد

فى مكانه . . متجهة إلى مجهول لايعرف ماذا ينتظره فيه . . وأنه قد اختار الذهاب إلى هذا المجهول سواء شاء أم أبى . . وعليه أن يتكشفه بنفسه . .

* * *

قال قائد عام القوات المسلحة لـ « حب حب » الذى جلس أمامه كى يستجوبه :

ـ لن تجعلنا المافيا نتهاون مع رجالها ، حتى وإن كانوا من صغار السن . .

قال « حب حب » :

ـ لكنى لست من رجال المافيا . . أنا « حب حب » عضو . .

تمتم الضابط بصوته الأجش ، وبلهجة صارمة : قلت لك لن تخدعنا .

التفت « حب حب » إلى ضابط شاب يقف إلى جواره . . وعندما التقت عيونهما ، حاول « حب حب » أن يخبره بحقيقة الأمر . إلا أن الضابط الشاب لم يعلق بكلمة . . ومع ذلك فقد أحس « حب حب » نحوه بارتياح ملحوظ . . قال القائد العام :

ـ خذوه . . واستجوبوه . . حتى يعترف . .

أحس « حب حب » بالجزع . فلاشك أن هذا القائد يعامله كأنه مدسوس من قبل عصابات المافيا . وأنه لايمكن أن يتصور

شيئا غير ذلك . .

قام من مكانه ، حاول أن يدافع عن نفسه . . لكن القائد بدا مشغولا . أمسكه أحد الجنود وحاول أن يشده نحو الباب ، كى يأخذه هو الآخر إلى مصير مجهول . . لكن « حب حبُ » لم يتسأ أن يعلن استسلامه بسهولة . فقال :

ـ أنا صديق «ماركو» . . ابن القاضى «مارشيللو» . .

هنا تسمر القائد فى مكانه . . نظر إلى « حب حب » بعينين جامدتين ، وقال :

ـ إذن . فأنت وراء اختطافه . .

ـ اختطافه . . !!

خرجت الكلمة من فم « حب حب » كأنها قذيفة لم تصل إلى هدفها . واسترخت يداه كأنه لايصدق ماسمع بأذنيه . أحس بالجندى يشدد عليه بقبضته . بينما اقترب منه القائد وهو يسأله :

ـ هل تعرفه حقيقة ؟

بدت لهجة القائد ، وكأنها قد تغيرت بشكل ملحوظ . . إلا أن « حب حب» لم يكن قد انتبه بعد من الدهشة كى يرد عليه . .

* * *

ترى هل يعرف « ماركو» أنه بهذا التصرف قد دخل العالم السرى

الذى لايعرفه أحد للمافيا . .

لقد قرأ « ماركو » كثيراعن هذا العالم الغامض . . وسأل أباه كثيرا عما لايعرفه . . كان القاضى فى بعض الأحيان يرد بإجابات مقتضبة . . وفى أحيان أخرى كان يسهب فى الحديث . ومع ذلك. فإن ماركو لم يعرف ماذا يعنى « قانون الصمت الصقلى » الذى يسيطر على الجزيرة . . هذا القانون هوالذى يحكم تصرفات أفراد المنظمة . . الذى غالبا مايكون الموت جزاء لكل من يبوح بكلمة واحدة تتعلق بالمنظمة من قريب أو بعيد . .

لذا ، فها هو يدخل هذا العالم . ربما ليحطم هذا القانون أو ليفهمه على الأقل ، حتى لو أدى ذلك إلى أن يدفع الثمن غاليا لقد علمته قراءاته العديدة . . أن لكل مغامرة ثمنها الغالى . .

كان كل همه أن يقابل الرئيس الأعلى وجها لوجه . ذلك الرجل الذى لايعرفه أحد . . ولاشك أن هذه المغامرة سوف تمكنه من هدفه. . طالما أن هناك رجالا مثل أبيه قد أصبحوا ضمن أطراف القضية . .

تحركت السيارة فى شوارع المدينة الضيقة . . وفى مكانه داخل حقيبة السيارة راح « ماركو » يعد الأرقام رقما وراء آخر حتى يمكنه أن يحسب المسافة الحقيقية أو الزمن الذى استغرقه منذ ذهابه عن البيت حتى يصل إلى المكان المجهول الذى يأخذونه إليه .

صفحة فارغة

فجأة توقفت العربة . . تنهد وقال لنفسه :
ـ يبدو أننا وصلنا . .
لكنه سمع قائد السيارة يتكلم إلى شخص وهو يضحك قائلا :
ـ معنا صبى خطفناه ووضعناه فى حقيبة السيارة . .
خفق قلب « ماركو » . . فلم يفهم مايحدث خارج السيارة ولم يعرف ماذا يدور هناك . . وبعد قليل سمع صوت رجل أغلب الظن أنه شرطى يقول :
ـ الظروف الحالية لاتحتاج للمزاح . .
لم يعرف « ماركو » أى شعور انتابه عندما انطلقت به السيارة . . هل هو الإحساس بالندم لأن هذا الشرطى لم يصدق المزاح الذى أطلقه قائد السيارة أم بالفرح لأنه متجه نحو مغامرته . مهما كانت العواقب . ؟

* * *

نظر الضابط « فرانكى » إلى الصبى العربى « حب حب » بعينين ملأهما الصدق وقال :
ـ أشعر أنك لست مخادعا . . لكن هذه هى مهنتنا وتلك هى ظروفنا . .
قال (حب حب) : إنه صديقى . . لقد جئت من أجله . .

سأله الضابط : ألا ترى أنه من الغريب أن تطير فوق جزيرة صقلية فى منل هذه الظروف . . ؟

رد «حب حب» :

ـ قد يبدو الأمر غريبًا بالنسبة لكم . . لكن بالنسبة لأعضاء نادى المراسلة الدولى . فهذا واجب . .

كان الضابط «فرانكى» لديه بعض المعلومات عن نادى المراسلة الذى ينتشر أعضاؤه ، من أعمار متباينة ، فى أنحاء عديدة من العالم . وقبل قليل ، أكد له « حب حب » أن هناك ميثاقا بين أعضاء هذا النادى أن يساعدوا بعضهم البعض عندما تصبب محنة أيا من أعضاء النادى . . لذا فلم يكن غريبا من «حب حب» أن يقول :

ـ اسمع ياحضرة الضابط . . هذا «الكومبيوتر الخارق» يمكنه أن يحضر لك جيشا كاملا من الأصدقاء بنداء واحد . .

سأله الضابط :

ـ هل يمتلك كل منهم طائرة مثلك . ؟

هز « حب حب » رأسه بالنفى . وقال : لا أعتقد أن هناك طائرة مماثلة . لذا فأنا الذى أقوم بالمغامرات الجوية وحدى . . لكننى استطيع أن أتصل بهم فى أى وقت . .

وراح يشرح للضابط بعضا من أسرار نادى المراسلة الدولى . .

أحس الضابط بالارتياح والاقتناع، لكنه قال :
ـ أنت فى حاجة إلى إن تقول هذا الكلام للسيد القائد . .
وقف « حب حب » مكانه . . وقال :
ـ أنا فى حاجة أن أعاون صديقى« ماركو» . .
سأله الضابط : هل يمكنك أن تعرف مكانه . ؟
هز « حب حب » رأسه وقال : طبعا، شرط أن يكون معه «الكومبيوتر الخارق» فى حالة تشغيل .

* * *

ثم وقفت السيارة مرة أخرى . . وفى هذه المرة تمنى « ماركو» ألا يوقفها شرطى مرور . . فقد عقد العزم على أن يخترق هذا الدرب الصامت . . وسوف يمضى قدما فى الطريق . .
فجأة ، فتح باب السيارة الأمامى . . وراح « ماركو » يرهف السمع ولم يكن بحاجة إلى إن يعرف انه قد وصل فعلا . فقد فتح باب حقيبة السيارة . . وأطل منه رجل ينظر إليه . . أغلق عينيه وفتحهما عدة مرات عندما دخل الضوء إلى داخل الحقيبة . . ولم يتبين ملامح الرجل بسهولة . .
وبسرعة راح الرجل يحمله فوق كتفه . . بينما صاح آخر :
ـ يجب أن نضع عصبة حول عينيه . .
رد الثالث : الرئيس الأعلى ينتظرنا على أحر من الجمر . .

ظل الرجل يحمله ، فدخل به منزلا صغيرا ، فى شارع ضيق لم يستطع « ماركو » أن يتبين ماذا يكون بالضبط . . وفجأة وجد نفسه فى مكان مظلم لم يتمكن من تحديد أى شىء فيه على وجه الدقة ، أحس كأن الرجل ينزل سلما فى ممر ضيق للغاية . . وبدأ كأنه قد اعتاد النزول فى هذا المكان عدة مرات . فكان يهرول وكأنه فى سباق مسافات طويلة .

أحس « ماركو » كأن جسده سوف يتحطم إلى عشرين قطعة . . وأن رأسه سوف يصطدم بالحائط . لكن يبدو أن الرجل كان ماهرا ، فلم يصب أى جزء من جسد ماركو الذى وجد نفسه فجأة فى صالة واسعة مليئة بالأضواء المبهرة المتعددة الألوان التى تساقطت على وجهه . فلم يستطع أن يفتح عينيه لقوتها . . وحاول أن يستكشف أين يكون بالضبط . إلا أنه فشل فصاح :

ـ هذا الضوء يكاد أن يخطف بصرى . .

لم يسمع تعليقا على جملته . . فصاح مرة أخرى :

ـ أرجوكم . . هذا الضوء شديد على عينىّ . .

ولم يسمع تعليقا من جديد . . وأحس كأنه وحده فى هذا المكان البالغ الغرابة . .

* * *

عندما دخل الضابط « فرانكى » على قائده فى مكتبه . اقترب

منه وقال بصوت لم يسمعه سواهما :

ـ سيدى القائد . هذا الصبى صادق مائة فى المائة . .

نظر إليه القائد نظرة مليئة بالتساؤل والريبة . وعلق قائلا :

ـ أيها الضابط «فرانكى» . . أنت تعرف حيل المافيا . .

قال « فرانكى » : إنه صديق لماركو . . ويمكنه أن يعرف أين يكون .

قال القائد :

ـ اسمع . . أنا لا أسمح لأحد أن يسخر منى ، أو يتصورنى رجلا ساذجا . .

تمتم فرانكى : إن معه جهازًا صغيرًا» . . يمكنه أن يعرف أين يكون صديقه . .

مط القائد شفتيه فى سخرية . وقال :

ـ نحن فى مهزلة إذن . على كل، سوف أتيح له فرصة أخيرة . احضره . .

وبعد قليل دخل « حب حب» ، وما أن رآه القائد حتى صاح :

ـ ياسيد « حب حب » هل يمكنك أن تقرأ الفنجان لتعرف أين يكون صديقك المزعوم « ماركو» ؟

أحس « حب حب » ان القائد يسخر منه . . ورغم هذا ، راح يبتلع السخرية المريرة . وقال :

ـ أنا لا أتعامل مع الفناجين . ولكننا أبناء عصر العلم . . وهذا «الكومبيوتر الخارق» موجود لدى كل واحد من أعضاء نادى المراسلة الدولى .

أمسك القائد الكومبيوتر ، وراح يتأمله وهو فى يده . . ثم قال :

ـ هو كومبيوتر . . وصغير . . لكنه فى رأيى ليس سوى لعبة للأطفال . .

ومرة أخرى أحس « حب حب » أن القائد يسخر منه . . التقط منه « لعبة الأطفال » التى يعتقدها . . ثم راح يضغط على بعض أرقامها ، كأنه ينادى الرقم الكودى لكومبيوتر خارق مماثل موجود الآن لدى صديقه « ماركو » ، وساد الصمت المكان . .

وامتلأت الوجوه بالترقب . . خاصة وجه « حب حب » الذى وضع الجهاز الصغير على مقربة من أذنه وراح ينتظر ردا . .

لم يأت الرد . . نظر إليه القائد نظرة ذات مغزى . . حاول «حب حب » مرة أخرى . . وراح يضغط على الأرقام نفسها من جديد . . وانتظر.

دق قلب الضابط « فرانكى » . . وارتجف « حب حب » وهو لايسمع إجابات لنداءاته . . أما القائد فقد قال :

ـ أرجوك . . ورائى مهام جسيمة . .

قال « حب حب » : بل أرجوك . . مؤكد أن صديقى فى خطر. خطر شديد . .

* * *

فجأة خبت الأضواء . . وبدأ الظلام يسود شيئا فشيئا فى المكان. . وأغلق « ماركو » عينيه مرة أخرى ، وهو يصيح :

ـ أرجوكم . . دعونى أنام . .

ثم انطلقت الأضواء مرة أخرى فى الصالة الكبرى . . وانتشرت الألوان . . فلم يجد «ماركو» سوى أن يتكوم فوق الأرض ، كأنه يدفع عن نفسه هذه القوى التى تحاول أن تهزمه فلايستطيع إلا أن يمتثل لها . .

ثم عاد الظلام رويدا رويدا . . وعمت السكينة المكان . . تمنى « ماركو » أن ينام . . لكنه لم يستطع . . لم يكن يسمع أيا من النداءات العديدة التى أطلقها صديقه « حب حب » الموجود الآن فى مركز القيادة العليا . .

ووجد نفسه يسترخى . . وجسمه يتمدد . . ثم غاص فى نوم عميق . .

لم يعرف كم من الوقت قد نام . . هل ساعة؟ . أم اثنتين ؟ . أم عشرين ساعة . ؟

صفحة فارغة

وعندما استيقظ وجد نفسه فى غرفة صغيرة . . وأمامه مائده كبيرة افترشتها أنواع عديدة من الأطعمة الساخنة سرعان ما اثارت شهيته للأكل . فأسرع نحوها . . وراح يدس منها فى بطنه . . لم يعرف هل كان جوعانا أم لا . كل ماعرفه انه أكل بشراهة . . ثم شرب بعض الماء . . وقصم قطعة من التفاح . . والتقط حبات من فاكهة الكريز الحمراء اللون . .

التفت حوله ، فلم ير أحدا . . لم يعرف أين هو بالضبط . . ولكنه أحس بالراحة الشديدة . . فكر فى أن ينام مرة أخرى . . لكنه وقف وصاح :

ـ هل هناك أحد . . ؟

ولم تجئ إجابة . . ثم راح يسترجع شريطا طويلا من الذكريات بدأ من لحظة اكتشافه للرجال الذين جاءوا ليأخذوه رهينة . .

الآن . . هو فى عرين الأسد . . لايهم أى أسد هو . . لكنه الأسد . . فهذا المكان واسع . . ولاشك أنه يخص إحدى الزعامات العليا فى المافيا . . لم يعرف أين هو . . ولكن لاشك أن من خطته أن يعرف . .

وفجأة تذكر «الكومبيوتر الخارق» الذى يحتفظ به . . فمد يده إليه . وكانت المفاجأة . .

فالكومبيوتر الخارق ليس فى مكانه . .

شعر « حب حب » بالحرج الشديد أمام الضابط « فرانكى» الذى أحس بالثقة الشديدة فيه ، فقد جرب الاتصال بـ « ماركو» لكن بلا فائدة . ووسط الشعور العام بالحرج . أحس أيضا بالخوف الشديد على صديقه « ماركو » فلاشك أن هذا يعنى أنه فى أشد حالات الخطر . . فقد تم تصميم هذا الكومبيوتر الذى لايعرف سر تشغيله سوى أعضاء نادى المراسلة الدولى . كى يتمكن أى عضو يتعرض للخطر من استخدامه الاستخدام الأمثل .

ورغم أن « حب حب » لايفقد الأمل بسهولة . إلا أنه كاد أن يحس باليأس ، لأن صديقه ماركو لايستجيب لنداءات الكومبيوتر . إذا وجد نفسه محجوزا فى إحدى قاعات القيادة العليا . . وراح يفكر فيما يمكن عليه أن يفعله . .

الآن ، لاشك أن تهما عديدة يمكن أن تلقى عليه من طرف القيادة العليا . . منها تهمة انتمائه لعصابات المافيا . فقد أصر القائد العام أن هذا الصغير مدسوس حتماً من رجال المافيا . وأنه يجب أن يكون عبرة لكل شخص يحاول أن يخرج على القانون . .

وفجأة سمع صوتا لم يكن يتوقع قط أن يسمعه . . فها هو صديق ما يطلق إشارة . . وسرعان ما أمسك الكومبيوتر الخارق وداس على زر التشغيل . . وأخذ ينتظر . .

وكانت المفاجأة . .

فـ« ماركو » هو صاحب الرسالة العاجلة . . والمثيرة للغاية . .

* * *

تمكن «ماركو» أن يرسل رسالته إلى صديقه « حب حب » رغم أن الرسالة بدت قصيرة . إلا أنها جاءت كى تحسم أشياء كثيرة . ليس فقط مايتعلق بموقف « حب حب » إزاء شكوك القيادة العليا فى هويته . ولكن أيضا فيما يتعلق بسير الأمور بشكل عام . .

فوسط انفجارات متناثرة فى شوارع المدينة ، خاصة القريبة من منزل القاضى «مارشيللو» ، جاءت رسالة تهديد للأب بأن حياة ابنه فى خطر لو لم يتخل عن القضية . . وبينما أخذ القاضى يطالع الرسالة وإلى جواره زوجته ، انفجرت سيارة مغلومة عند أطراف الشارع . آنذاك قال القاضى بهدوء شديد :

ـ أصبحت المدينة كلها ملغومة . . بل أصبحت صقلية بأكملها جزيرة ملغومة . . ويمكن لنا جميعا أن ننفجر معها . .

وبدت كلمات القاضى ذات ألف معنى . فلاشك أن السيد «مارشيللو» يحمل السلطات المسئولة . وهو واحد منها ، سببا لما يحدث فى المدينة . بل وفى صقلية بأكملها . فلاشك أن الجزيرة الملغومة قد تحولت بذلك إلى مستعمرة فى أيدى المافيا . وعلى رجال

القيادة العليا أن يضربوا بأيدٍ من حديد ضد كل الخارجين على القانون . .

لذا أحس قائد القوات العليا بأنه فى حرج، وعليه أن يفعل شيئا .

لم يكن يعرف أن « ماركو» فى خطر فعلا . . حين أرسل رسالته بجهاز الكومبيوتر الخارق إلى « حب حب » ، ففى تلك اللحظات التى راح يدوس فيها على أزرار الكومبيوتر . . كانت هناك ساشة .

اقتربت ساعة الحسم فى جزيرة صقلية ، التى أصبحت ملغومة تماما . . لم يكن أحد يعرف ما الذى يمكن أن ينتظر المدينة بأكملها . ولا من يكون الفاعل . . ؟

كلما تردد هذا السؤال الأخير ، تجىء الإجابات همسا : المافيا ؟

أصبحت « المافيا » شبحا مخيفا يمكن أن تلقى إليه كل الاتهامات حقا . . هل هى أشخاص ؟ أم مجموعة من الظواهر الإجرامية التى تحدث فى المدينة . . ؟ لا أحد يستطيع الإجابة بالتحديد . . فمن يكون رجل المافيا . سوى أنه رجل يعيش حياته تحكمه قوانين صارمة ، لايمكنه أن يعرف العديد من زملائه ، حتى لايمكنه أن يرشد عنهم حين يتم القبض عليه ، ولذا فليس من السهل القبض عليه . .

لكن صقلية الآن تعيش فى ظروف مغايرة . فالقاضى

«مارشيللو» قد استلم أخيرا الأوراق الخاصة بتورط العديد من زعماء المافيا فى أعمال إجرامية . ومنها الملف الذى راح يدرسه ليلة السبت وصباح يوم الأحد الذى يضم الأرقام السرية لحسابات هؤلاء الزعماء فى بنوك سويسرا . . الآن، لديه أيضا معلومات محددة عن الأرصدة الضخمة لهؤلاء الرجال .

ووسط حراسة مشددة جلس الرجل يطالع التقارير والمستندات الخطيرة . . وهو يتوقع أن يحدث شىء ما لايمكن لعقل أن يصدقه كأن تأتى طائرة من السماء لتدك بيته دكا . . أو تنطلق قنبلة من مدفع فى أطراف مدينة باليرمو كى تفجر بيته . .

ورغم هذه المخاوف . وهذا الترقب . ورغم الخطر الذى يتعرض له ابنه « ماركو »، إلا أن «مارشيللو» قرر أن يكون الواجب فوق كل شىء آخر . . كان كل همه هو أن يكون عقله هو الحكم الأخير فيما يراه أمامه ومالديه من مستندات . وليس لاعتبارات شخصية ، حتى ولو كان من بينها وجود ابنه فى دائرة التهديد .

وبينما هو يقرأ بإمعان فى المستندات وأوراق القضية ، لفت نظره أن هناك شخصا يدعى السيد « ك » لم يحدد أى من المتهمين من يكون بالضبط وذلك خوفا من بطشه . . فى بداية الأمر تصور القاضى أن « ك » هذا ليس سوى اسم وهمى يذكره المقبوض عليهم من رجال المافيا حتى تتشتت الاتهامات عنهم .

صفحة فارغة

إلا أنه فجأة ، وبين السطور، هتف لنفسه قائلا :
ـ « ك » . . إننى أعرفه . . إنه هو . .

* * *

سرعان ما اتقطعت الرسالة التى أرسل « ماركو » الجزء الغالب منها إلى صديقه « حب حب » ، لم يكن « ماركو » يعرف أين يكون «حب حب » الآن . . . لاشك أنه هو المنقذ الوحيد للاتصال بالعالم . . وعلى هذا الأساس قامت خطته حين قرر أن يترك رجال المافيا يختطفونه . .

لم يكن « ماركو » يعرف، وهو فى غرفته التى وجد نفسه فيها، أن هناك أكثر من أربع كاميرات تصوير تنقل مايفعله بالضبط ،كان هناك رجل يجلس فى غرفة أخرى أمام شاشة تلفزيونية. ولذا فقبل أن يستكمل «ماركو » رسالته إلى «حب حب» . . فوجئ بواحد من أعضاء المافيا يدخل إليه ، بدا ملثم الوجه . فلم يستطع أن يعرف ماذا يكون بالضبط ، ثم راح يجذب « الكومبيوتر الخارق » من ماركو، وقال :

ـ نحن الذين صنعنا الألاعيب . . فلا تمارسها فى دارنا .

حاول « ماركو » أن يجذب « الكومبيوتر الخارق » ، لكن الرجل كان قد وضعه فى جيبه . . وقال :

ـ هذه آخر مرة . . اسمع يافتى . . حياة الآخرين سهلة لدينا . . وانت تعرف ذلك . .

انتبه « ماركو » أن الرجل يحاول أن يغير من إيقاعات صوته أكثر من مرة ، حتى لايمكن لأحد أن يتعرف عليه . . فى تلك اللحظة سمع « ماركو » صوتا ينبعث من الحائط يقول :

ـ هات الصبى هنا . . أريده قليلا . .

بدا الصوت غريبا . ومألوفا . . كأنه سمعه من قبل . . أحس «ماركو » أن الرجل يحاول أن يشده . إلا أنه قال :

ـ سوف آتى معك . . فلاتجذبنى . .

وقبل أن يرد عليه الرجل ، كان هذا الأخير قد وضع عصبة فوق عينيه وراح يجذبه إلى مصير جديد لايعرف . . ووجد نفسه يغرق فى عشرات التساؤلات . . عمن يكون صاحب هذا الصوت الغريب والمألوف الذى جاءت نبراته من ميكرفون الحائط قبل قليل . . ؟

* * *

هتف « حب حب » . .

ـ إنه هو . .

وبعد قليل جاء الضابط « فرانكى » إلى الغرفة التى تم فيها حجز « حب حب » ، بدت أسارير الفتى منشرحة للغاية . وهو

يشير إلى شاشة « الكومبيوتر الخارق » . وصاح

ـ انظر . . لقد أرسل رسالة . .

نظر الضابط إلى الشاشة ، بينما ردد « حب حب » : انظر إنه يقول إنه فى منزل قصير القامة .

تمتم الضابط مشدوها :

ـ فعلا . . لكن أغلب منازل باليرمومنخفضة البناء . . هل يمكنك الاتصال به . .

امتلأت ملامح وجه « حب حب » بالجدية ، والأسى ، وهو يقول: يبدو أنه فى خطر فعلا . . لقد انقطعت الرسالة .

فرد الضابط قامته . وهتف ، كأنه يتكلم من أعماق الصحراء البعيدة

ـ فعلا . إنه فى خطر . . لكن ترى أين هو بالضبط . . ؟

بدا « حب حب » منشغلا بمطالعة الرسالة . . ثم هتف فجأة:

ـ انظر . . إن جهازه يعمل . . لم يغلقه بعد . .

قال الضابط متسائلا : إذن سوف يرسل رسالة أخرى . .

رد« حب حب» : يمكن . . لكن هذا يعنى شيئا آخر . . إننا يمكن أن نعرف مكانه تقريبا . .

بدا الضابط وكأن فرحة الدنيا كلها قد اجتمعت فى مكان

واحد. ثم ألقت بنفسها داخله . . ردد : يا إلهى . إنها فرصة العمر . . هل هذا صحيح ؟

داس « حب حب » فوق بضعة أزرار . الواحد وراء الآخر، ثم قال :

ـ هذه هى أهمية « الكومبيوتر الخارق » فهو يمكن أن يرسم خريطة تفصيلية للمكان الذى يجد فيه الصديق الذى نتخابر معه على الخط نفسه . .

قال الضابط بكل حماس : إذن، افعل شيئا، فالموقف حرج .

* * *

السيد « ك » ، ترى من يكون حقيقة . . ؟

راح القاضى يشرد طويلا فى أشياء بعيدة للغاية . أشياء تعود إلى أربعين عاما مضت . حين كان فى المدرسة الابتدائية ، كانت روابط قوية بين التلاميذ الذين جاءوا من أنحاء عديدة من المدينة . وأيضا من بقية الجزيرة . . لكن أقوى الصلات التى ربطته فى تلك الفترة كانت مع زميليه «جيوفانى فالكومى» . «وباولو بورسلينو » الذى عرفت ذات يوم على « كارلو » . .

وراح القاضى يستحضر صورة « كارلو » فى ذاكرته . . كان دائما يبدو غريبا . ويبدو قليل الكلام . ويردد أحيانا بعض

العبارات الغامضة بأنه يتمنى أن يكون « ك » . .

لم يفهم أحد ماذا يعنى « كارلو » بمثل هذه الكلمة . إلا أنه ذات يوم سقط كارلو من أعلى حمام السباحة وهو يقفز . . وكان يوما مشهودا . فقد غاص فجأة فى الأعماق . . ولم يكن أمام «مارشيللو» الصغير آنذاك سوى أن يقفز ويندفع نحو أعماق الحمام العميق ، كى ينقذه من خطر محدق .

واستطاع «مارشيللو» بصعوبة أن يخرج به من الحمام . . بدا كارلو فى حال يرثى له . . فأخذ يلهث ويردد كلمات غير مفهومة . . بدت الآن أمام القاضى واضحة فى معالمها . . فهذا الصغيرقد اختفى بعد ذلك الحادث تماما ، وقيل إن قدمه اليسرى قد كسرت نتيجة لانزلاقه أكثر من مرة فوق أرض الحمام بعد أن سقط من ارتفاع عشرة أمتار فوق طرف الحمام . ثم سقط فى الماء . هذا الصغير قد ردد وهو فى حالته هذه أمام الجميع :

ـ أنا « ك » . . لابد أن أكون « ك » . .

لم يسأله أحد عما قاله . . فقد كان يتكلم بصوت خفيض . .

حاول القاضى أن يستجمع الكلمات . . ثم راح يحشد كل ذاكرته من أجل استيعاب الكثير من ذاكرة الحاضر . . تذكر أنه ذات يوم قد قال تعليقا على أحد الأفلام إن كل قصص المافيا فى السينما لاتذكر سوى القليل ، والغير صحيح، عن أنشطة المافيا

الحقيقية . .

فجأة ، هب القاضى «مارشيللو» من مكانه ، وطلب مقابلة وزير الداخلية شخصيا . .

* * *

أحس « ماركو » بأن الشخص الذى يسحبه يدفع به للجلوس فوق مقعد اكتشف انه وثير للغاية وراح يتحسسه كأنه لايصدق أن مثل هذا المقعد موجود فى منزل منخفض البناء . فى أحد أحياء باليرمو الفقيرة . أحس أن هناك شخصا يقف قبالته . وكأنه يتأمله . أحس « ماركو » برجفة . وهتف :

ـ من . . ؟

سمع رجلا يقول له بصوت أجش سبق أن سمعه فى الميكرفون :

ـ أنت تشبه أباك كثيرا . عندما كان فى المدرسة . .

هتف ماركو وقد نهض واقفا : هه . . من . . ؟

قال الرجل الذى وقف يتأمله : لو لم يكن لمارشيللو الذى أصبح الآن قاضيا دين فى عنقى . . لكانت هناك أمور أخرى الآن . .

مرة أخرى تساءل « ماركو » : قل لى . . من أنت ؟

قال الرجل : كان أبوك ذكيا . . وقد أنقذنى من موت محقق .

تساءل « ماركو » بسذاجة واضحة : إذن ، لن تقتلنى . .

ولم يسمع « ماركو » ردا . صاح مرة أخرى : أنا ماركو . . فمن أنت ؟

ولم تجئ الإجابة . . سمع وقع خطوات لشخص كأنه يمشى فوق قدم واحدة أو بقدم صناعية . . صاح ماركو بصوت عال :

ـ لاتتركنى . طالما أننا صديقان . .

جاء صوت الرجل : هذا يتوقف على موقف السيد «مارشيللو» فى المحكمة بعد ساعات . .

* * *

فجأة ، تحولت إدارة القيادة العليا إلى خلية نحل . . فالاستعدادات الضخمة تجرى على قدم وساق تحسبا لأى مواقف منتظرة سوف تحدث بعد قليل بعد أن ينطق القاضى مارشيللو بأحكامه ضد مجموعة من زعماء المافيا البارزين .

ولكن ، فى مكان آخر من القيادة ، جلس ثلاثة أشخاص يدرسون التطورات الأخيرة فى سرية تامة ، أمسك « حب حب » الكومبيوتر الخارق . وراح يرصد الخريطة التى بدت على الشاشة ، تكشف المكان الذى يوجد فيه الشخص الذى لديه كومبيوتر مماثل فى حالة « تشغيل » . .

صاح قائد القوات : هل أنت متأكد . ؟ هذا المكان ليس فيه شىء يشير الشبهة . .

تمتم « حب حب » : هكذا تقول الشاشة . . انظر . . إنه يتحرك .

ودقق القائد النظر فيما يراه أمامه على الشاشة . ولاحظ أن النقطة الضوئية تتحرك . . فصاح :

ـ إذا كان كلامك صحيحا . . فلابد أنهم ينقلونه إلى مكان آخر . .

قال الضابط «فرانكى» : إذن علينا أن نتحرك . .

وقف القائد وقال : لا . . كل شىء بحساب هذه المرة . . لانريد أن نثير الشكوك . . يجب أن نتتبعهم . . لقد عرفنا هذا العنوان . . ونريد . .

هنا صاح « حب حب » : هل يمكن أن أسترد طائرتى . . ؟

أحس القائد بالغضب . . فقد قاطعه « حب حب » . . أحس هذا الأخير بأنه فعل شيئا خاطئا . . فقال :

ـ « رف رف » سيحل المشكلة . .

نظر القائد إلى ضابطه . وكأنه يستفسر منه عن صحة عقل هذا الفتى الغريب . . إلا أن « حب حب » صاح :

ـ إنه الصقر . . صقرى . . ألم تقل إنك لاتريد أن تثير الشكوك . .

رد القائد : لكننى لم أكمل كلامى . .

حق « حب حب » قائلا : لقد قرأت بقية إجابتك . . يمكن

أن أتتبعهم من أعلى بطائرتى . . ويمكن للصقر أن يرصدهم بعينيه القويتين .

مط الرجل شفتيه ، وبدا كأنه لم يفهم شيئا . .

* * *

بدا العاملون فى السجلات المدنية بمدينة باليرمو كأنهم فى سباق مع الزمن . . فعلى الجميع أن يبحث عن مصير تلميذ قديم يدعى « كارلو بيكولو » . . اختفى فجأة من المدرسة بعد إصابته فى ساق إصابة بالغة قبل أربعين عاما . .

راح العاملون يبحثون عمن يكون كارلو هذا فى دفاتر المواليد . وفى سجلات المحفوظات الخاصة بالمدارس . وفى سجلات المستشفيات .

بدت المهمة صعبة للغاية . فهناك آلاف الأشخاص الذين يسمون كارلو لكن كلمة « بيكولو » التى تعنى « الصغير » باللغة الإيطالية . وهى فى غالب الأحيان لاتعنى لقب أسرة . .

لذا بدأت رحلة بحث أخرى مثيرة . فقد كان على القاضى «مارشيللو» أن يقدح ذهنه وأن يتذكر اسم العائلة التى كان كارلو يحمله . . لكنه تذكر أن هذا الصبى كان غامضا . ولم يعد أمامه سوى أن يتفحص بعض الصور لمن كانوا فى مدرسته نفسها فى هذه المرحلة .

بدت الرحلة شاقة . . فكلما تذكر شيئا راح الموظفون والمبرمجون يبحثون عنه . .

وفى النهاية توصلوا إلى معلومات مثيرة . .

فكارلو هذا . . أو السيد « ك » هو سليل لأسرة كبيرة من أسر المافيا التى تولت الزعامة منذ سنوات طويلة . وقد اختفى منذ أكثر من أربعين عاما ولم يعد أحد يسمع أية أخبار عنه . . وأغلب الظن أنه الآن أحد القيادات الكبرى فى المافيا . . . وأنه يمارس عمله من مخبئه السرى الذى اختاره لنفسه خاصة بعد أن حُكم عليه غيابيا فى أكثر من قضية بأحكام عديدة تصل إلى عشرات السنوات . .

إذن ، فلاشك أن « ك » هو الذى قبض على ابن القاضى «مارشيللو» الذى راح يتساءل وهو فى طريق عودته إلى المنزل وسط حراسة مشددة

ـ ترى هل سيلحق الأذى بابنى . . لأننى وصلت إلى درجة علمية متميزة . . أم إنه سيتذكر ذلك الموقف الذى وقفته معه . . ؟

ووسط هذه التساؤلات العديدة . كان القاضى «مارشيللو» يعرف جيدا أنه لم يبق سوى ساعات قليلة وينطق بالحكم التاريخى والمصيرى . .

* * *

بدا كل شىء مثيرا فى ذلك الصباح . .

ففى قاعة المحكمة الكبرى بالمدينة . احتشد رجال الصحافة حول المبنى من أجل سماع حكم القاضى «مارشيللو» ، بينما امتلأت الطرق المؤدية إلى المحكمة بعشرات الجنود المدججين بالأسلحة . أما المبنى نفسه فقد ازدحم بالجنود الذين توقعوا أن تحدث أشياء مثيرة بين لحظة وأخرى . . سواء قبل النطق بالحكم أو اثناءه أو بعده . .

ولم يسُمح سوى لعدد قليل من رجال الصحافة والإعلام لحضور وقائع الجلسة ، والنطق بالحكم . .

وبينما تنتظر باليرمو بأكملها لحظة النطق بالحكم ، وما يمكن أن يتبعها من حوادث مرعبة فى الغالب ، قامت قوة ضخمة من الجنود بمهاجمة المكان الذى حدده « الكومبيوتر الخارق » ، ولم تكن المفاجأة فى أن المكان خال من السكان بل لقد تم اكتشاف باب يؤدى إلى دهليز . . وفى أسفل المبنى تم اكتشاف قاعات ضخمة . ومبنى آخر أشبه بالقصور القديمة . .

وسرعان ما استولت القوات على هذا المبنى . ثم راحت تمشط المكان بحثا عن الكثير من أعضاء المافيا الذين تساقط بعضهم بعد مقاومة . . بينما ولى الكثير منهم الفرار . .

وفى قاعة المحكمة . كان القرار المنتظر . .

فقد نطق القاضى «مارشيللو» بعبارته الشهيرة :

ـ حكمت المحكمة على أعضاء المافيا المقبوض عليهم بالسجن المؤبد .

وسرعان ما انتشر الخبر فى المدينة . .

وخفقت القلوب بالفرح الحذر . . وردد البعض :

ـ سوف تتحول باليرمو . بل صقلية كلها إلى لغم حى . .

واختار أبناء المدينة أن يلجئوا إلى بيوتهم حتى يحتفل بعضهم بما حدث . . بينما كان على البعض الآخر أن يحمى نفسه وأسرته من غضب رجال المافيا المنتظر . .

لم يكن أحد يعرف أنه فى تلك اللحظات ، كانت تدور مطاردات مثيرة خارج الجزيرة . .

نجح الصقر « رف رف » أن يعيد الطائرة إلى صديقه « حب حب» ، وبعد قليل ، كان هذا الأخير يستعد للإقلاع بطائرته من فوق أحد بيوت باليرمو . . وإلى جواره وقف الضابط «فرانكى» الذى قال له :

ـ إنهم فى البحر الآن . . كما يشير الكومبيوتر . . اذهب واستطلع الأمر . . وسوف نتتبعك وننقض فى اللحظة المناسبة .

وقامت الخطة على أساس أن ينطلق « حب حب » باحثا عن المكان الذى أخذ إليه صديقه « ماركو » ، ثم يرسل إشارة لاسلكية من جهاز تم تركيبه خصيصا لهذا الغرض إلى الضابط فرانكى .

وانطلق « حب حب » إلى الجو . .

وراح الصقر يتتبعه . . وهو يشعر أنه دائما فى أحسن حالاته عندما تكون هناك مغامرة مثيرة . .

وبدأ « حب حب » يتتبع النقطة المضيئة التى تظهر على شاشة «الكومبيوتر الخارق» . . لم يكن يعرف أن « ماركو » موجود الآن فوق يخت بالغ الفخامة، يغادر أحد الأماكن السرية فى جزيرة صقلية . وأنه يتجه لتوه إلى الولايات المتحدة ، حيث اختار « ك» أن ينقل نشاطه إلى هناك ، بعد ان أصبح وجوده خطرا فى إيطاليا . .

حتى الآن ، لم يعرف « ماركو » أى مصير ينتظره . لقد دبر خطته . ولم يعرف حتى الآن هل نجحت أم لا . ؟ صحيح أنهم قد أخذوه من ذلك المبنى الغريب . الموجود أسفل المنزل الصغير البناء . لكنه لايعرف ماذا يحدث بالضبط . .

كان يسمع الهمهمات من حوله . . ولاتبدو الحروف واضحة . لكنه كان يحس أن هناك نبرات غاضبة . أو غير عادية . .

لم يكن يعرف أيضا أن « ك » أحد زعماء المافيا الكبار قد ركب معه اليخت نفسه . انه نفس الرجل الذى تكلم إليه . ولم يره حتى الآن . .

عندما أزاحوا العصبة عن عينيه ، رأى نفسه داخل مقصورة . . فأسرع لينظر من الكوة . . ورأى البحر . . وهتف :

ـ يا إلهى . . يبدو أننا نغادر صقلية . .

* * *

بدت النقطة المضيئة تائهة على شاشة الكومبيوتر الخارق . . هنا أدرك « حب حب » أن صديقه موجود الآن فى مكان مافوق البحر . .

لم يكن يعرف أن «الكومبيوتر الخارق» الذى كان يملكه «ماركو» موجود الآن لدى أحد رجال المافيا الذين انطلقوا مع السيد « ك » فى رحلته خارج إيطاليا . .

وكان على « حب حب » أن يستعين بصقره . . فأشار إليه أن ينطلق ، بينما هو فى طائرته ، نحو البحر . . بينما راح هو بدوره يحاول أن يجد مكانا للنقطة الزرقاء المضيئة التى تاهت . .

فجأة هتف : يا إلهى . . إنه قريب ! !

وانطلق نحو مكان النقطة التى بدت الآن بوضوح . . فوق خريطة الكومبيوتر . .

وبعد قليل ، كان الصقر قد عاد إليه . وأخذ يرفرف بجناحيه كأنه قد رأى شيئا مثيرا . .

هنا داس « حب حب » فوق زر الجهاز اللاسلكى . . وراح يتصل بالضابط «فرانكى» :

ـ آلو . . هنا « حب حب » يتحدث إلى الضابط فرانكى . . لقد رأينا الهدف . .

فى تلك اللحظات كان « حب حب » يطير على مسافة عالية فوق اليخت . لم يخيل أبدا لأحد من الذين يركبون اليخت أن

الطائرين اللذين يطيران على هذا الارتفاع هما فى الحقيقة صقر قادم من المنطقة العربية . وإلى جواره طائرة يقودها فتى مغامر يدعى «حب حب» . . .

اندهش قائد اليخت عندما رأى الصقر يحط فجأة أمام مقصورته . . ثم طار مرة أخرى . . وعاد من جديد ليحط أمامه . . فصاح :

ـ هذا صقر غريب الشكل . . يجب أن نتخلص منه . .

وسرعان ما أصدر قائد اليخت أمره إلى الرجال بأن يطلقوا النيران على هذا الصقر المشاكس ، وقبل أن يطلق الرجال الرصاص من بنادقهم الآلية ، كان الصقر قد ارتفع إلى أعالى السماء . . تلاحقه عشرات الطلقات . .

ولم يكن أمام « حب حب » سوى أن يرسل تأكيدا إلى الضابط «فرانكى» عبر إشارة لاسلكية :

ـ إنهم مسلحون باسلحة متعددة . . انتبهوا . .

وكان على معركة شرسة أن تبدأ بين رجال الضابط فرانكى الذين انطلقوا بحرا وجوا نحو اليخت . وبين رجال المافيا بزعامة «ك» . .

كان على القاضى «مارشيللو» أن يخرج من الباب الخلفى للمحكمة فى عربته تحت حراسة مشددة . . بينما الترقب يسود الجميع من حوله . . أحس القاضى بالارتياح الشديد لأنه نطق بالحكم الذى يتناسب مع بنود القانون . ومع حكم العقل . ولم

صفحة فارغة

يذعن بالمرة للضغوط التى تمارسها عليه عصابة المافيا . .

لكن ذلك لم يمنعه من التفكير فى ابنه . وداخل السيارة التى أقلته إلى البيت . . ووسط الحراسة المشددة . . راح يتطلع إلى الناس فى الشوارع . وهو يفكر ويردد لنفسه :

ـ يمكن أن أضحى بابنى . وأيضا بنفسى . حتى يعيش هؤلاء الناس من أبناءصقلية فى راحة . . لبعض الوقت . . حتى يمكن القضاء تدريجيا على كل أفراد المافيا . .

لم يكن القاضى يعرف أين يكون ابنه الآن . .

وفى نفس اللحظات كان « ماركو » يشعر أيضا مثل أبيه بأسمى درجات الرضاء عن النفس . .

فعندما سمع أصوات الطائرات المروحية أسرع ينظر من كوة المقصورة ، وصاح :

ـ يا إلهى . . لقد نجحت خطتى ! !

شىء ما جعله يشعر أن خطته قد نجحت . . فى تلك اللحظة ، كانت مراكب خفر السواحل تحاصر اليخت من جميع الأركان وسط البحر . . بينما امتلأت السماء بالطائرات المروحية . التى بدت كأنها سحابة ثقيلة راحت تحجب الشمس كاملة عن اليخت الطائر.

دخل واحد من رجال المافيا إلى مقصورة السيد « ك » وأراد أن ينقل إليه ذلك الخبر السيئ . . إلا أن هذا الرجل فوجئ بصوت

ينهره بشدة :

ـ أيها المجنون . . لا أحد يمكنه أن يدخل مقصورة « ك » إلا كى يموت . .

ارتجف الرجل ، وقال :

ـ معذرة . . ولكن الأمر خطير . .

فجأة انطلقت رصاصة وسط المقصورة ، وجاء صوت السيد «ك» يحسم الأمر :

ـ مهما كان السبب . .

وسقط الرجل فوق الأرض . . بينما راح « ك » يحشر قدمه الصناعية فى ساقه . . ثم تقدم نحو كوة المقصورة . كى يستطلع الأمر . .

أحس « ك » كأن يوم القيامة قد حل . . فقد تحول البحر الأزرق اللون إلى كتلة سوداء من كثرة الطائرات المروحية التى تطير الآن فوق اليخت، مط شفتيه . . ثم راح يتصل بقائد اليخت الذى بدا فى أسوأ حالاته . . وقال :

ـ أوقف كل المحركات . .

قال القائد فى الميكرفون :

ـ هل نقاتل . . ؟

جاء صوت « ك » منكسرا :

ـ المعركة ليست فى صالحنا . . سوف نستسلم . .

تمتم قائد السفينة :

ـ معنا رهينة غالية . . يمكن أن . .

وسرعان ماجاءه الرد : لقد كسبوا جولة . . وقد سبقناهم وكسبنا جولات . .

* * *

امتلأت القاعة الكبرى بالأضواء . . والهمهمات . ووقف «حب حب » إلى جوار صديقه « ماركو » الذى أصر أن يكون الصقر « رف رف » هو نجم شرف الحفل الذى أقامه القاضى مارشيللو بمناسبة نجاة ابنه من الخطر . . وتكريما للفتى العربى المدعو « حب حب» . .

لذا ، جاء الكثير من المدعوين لتحية « حب حب» وصقره الذهبى الضخم الجميل . .

ووسط شعور « حب حب » بغمرة الفرح لهذا الاحتفاء الشديد به ، وبصقره . . كان ينظر إلى ساعته فى قلق . . ثم همس فى أذن صديقه ماركو :

ـ يجب أن أعود الآن إلى منزلى . . فقد خابرت أسرتى . . وأبدت علىّ قلقا . .

قال ماركو : ألم تطمئنهم فى الهاتف . ؟

رد « حب حب » :

ـ لقد طلب منى أبى سرعة العودة . .

صفحة فارغة

مط « ماركو » شفتيه . . ونظر إلى الصقر بإعجاب . . وكان عليه أن يرافقه إلى أعلى المبنى كى يودعه قبل أن يرحل . .

عندما صعد « ماركو » ، ومعه الضابط « فرانكى » إلى أعلى المبنى ، من أجل الطيران . كان القاضى «مارشيللو» يستقبل المدعى العام الإيطالى الذى جاء ليحييه وينقل له تحية الرئيس . . والذى همس له قائلا :

ـ لقد أصدر الرئيس أمرًا أن تتولى أنت محاكمة زميلك القديم «ك» بنفسك . .

تلقى القاضى « مارشيللو» الأمر بكل ثبات . .

وفى تلك اللحظات ، كان « حب حب » يعانق صديقه قبل أن يركب الطائرة ويقول :

ـ لم تنته المغامرة بعد . . وأعتقد أننى سأعود مرات كثيرة إلى صقلية . .

رقم الإيداع . ٩٣/١٠٢٥٢
I S B.N 977 - 09 - 0174 - 1

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف . ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣